

من دون ترتيب مسبق.. قررت أن أزور المالديف وبالتحديد «جزيرة الشمس Sun Island» أولاً.. ثم أختتمها في العاصمة «ماليه» لأبحث عن حقيقة تلك الجملة التي تقول إنها جزء من جنان الأرض. لذا حملت شنطتي الثقيلة، ولم انس أن أخذ معي بعض الكتب التي لم أقرأها وقلت في نفسي لعل وعسى أن أستفيد من ذلك الوقت الذي سأقضيه بين أحضانها لقراءة تلك الإصدارات.

ولكن الغريب أنني بمجرد أن وضعت قدمي على أرضها.. نسيت أن أبحث عن حقيقة الجملة التي جنت من أجلي. لأنها لا تحتاج إلى بحث ولا سؤال ولا إلى انتظار لا جابات. فكل ما فيها يقول لك إنها بلد يغمره السلام مثلما يغمره الماء والمطر. يكسوه الحلم مثلما يكسوه الأخضر الزاهي.

لذا لن أتردد أن أقول هذه الكلمات القليلة البسيطة في وصف حسناتها الأخاذ. ولك أن تتخيل عزيزي القاري تلك الصور التي ربما نصل بها إلى ما أريد أن أترجمه في هذه الصفحة..

انوار التنبيه

المالديف

رحلة في عمق الجمال

«يااه.. كيف انطوت الأيام الجميلة بهذه السرعة» حتى إذا ذهبت لتقف لحقيبتك مجبراً، تعرف أنك لم تأخذ منها سوى صور لتذكرى ملىئة بالمتعة والجمال.

محطتي الثانية العاصمة «ماليه»

الجزيرة المرحمة بالسكان الخالية من القطط والكلاب، ذات الشوارع الضيقة الممتلئة بالدرجات، كان من حظي أن أكون هناك في الوقت الذي تحتفل به جزر (المالديف) بيومها الوطني، ولأن العاصمة هي التي تحضن أكبر نسبة من مواطنيها وأكثر المعالم التاريخية التراثية، كانت الألوان تكسوها والأضواء تتلألأ في مسانئها الصاخب بالفرح وأغاني الوفاء وأشعار الولاء لهذا الوطن المعطاء، لذا كانت الأجواء السعيدة تغمرها وتعيش بكامل طاقتها الجميلة مع ضحكات الأطفال الذين يرتدون الأعلام الوطنية وترتفح بين أيديهم الصغيرة، حب الوطن هو الشيء الوحيد الذي لا تستطيع أن تسأل أي إنسان على وجه الأرض، كيف سكن القلب وكيف يكون هذا الحب؟.. لذا لم أتردد أن أحمل بيدي أعلام المالديف وأقطع طرقاتها الضيقة مشياً بالقدمين، أشارك الفرح وفرح مشابه له، وأتجول بين محطاتها التاريخية ومعالمها، بدأت انطلاقتي من جامعة المالديف الإسلامية إلى أقدم جامع ومن ثم اتجهت إلى بعض المعالم الوطنية ومنها إلى ساحة الاحتفال التي يتجمع أغلب الأسر مع أطفالهم الذين اتخذوا من النوافير مسرحاً للرقص تحت مياهها.

ماليه العاصمة.. تختلف جدا عن باقي جزرها لأنها مركز الحكومة وأغلب المعاملات الخاصة بسكانها.. جزيرة تمام ولا تنام لأن أوجها الزرقاء تحاكي مرساها الذي يستقبل طوال نهاره الضيوف من كل بلاد العالم.. جزيرة لا يبدأ تفكيرها بكيف سيكون عليه مستقبلها وهي مهددة بارتفاع الموج الذي يعلو يوماً بعد يوم على أراضيها.. فقد توجعت من قبل بالتوسونامي الذي ابتلع عدداً من جزرها وأخفاها في قاع المحيط، ومن حقها أن تتساءل كيف ستنجو بسكانها مستقبلاً؟

عند ختام جولتي التي بدأتها من الصباح حتى المساء، استنشقت بقوة كمية من هوائها الرطب وحبسته في صدري لأحظي بذاكرة رطبة بالوان بحرها الرقراق وخضرتها الساحرة، حتى إذا عدت إلى الكويت.. قلت ببني وبين نفسي: أه يا المالديف.. يا قطعة من جنة في الأرض.

رحلتي إلى المالديف لم تكن فقط رحلة سياحية.. إنما كانت رحلة في عمق الجمال واكتشاف الحياة التي قد تظن في يوم ما أنها أصبحت باهتة اللون.. لا ترى منها إلا ظلال البشر الذين يتصارعون على الحياة، ولكن الحقيقة أن هناك كثيراً من الإبداع الرياني الذي ينتظر لك لو قررت في داخلك أن الحياة تستحق أن تراها بمنظار آخر وبعين وأعية، تفسح من خلالها طريقاً للجمال ليمر في أعماق صدرك وتتغسس رثاك.



الدرجات أفضل وسيلة للتنقل في شوارع العاصمة ماليه

رثتك باوكسجينها العذب. لذا لا تحاول أن تغمض عينيك حتى لا يفوتك الإبداع الرباني المرسوم في كل زاوية ومكان من خارطة قلبها. الكثير منا عندما يذهب في زيارة إلى الجزر السياحية في المالديف يكون أول أهدافه هو أن يغرّس رجله في رمل شاطئها الشفاف اللامع.. ويغوص حاملاً بين أسماكها الملونة لعله يتحرر من ارتباطه الفكري والنفسي الذي يلازمه من جراء ضغوط الحياة الاجتماعية والعمل المستمرة. وبالنسبة لي كنت قد جلبت معي كتاباً جميلة لقراءتها، ولكنني فوجئت بعد أيام بأني نسيت أن هناك ما ينتظرني في شنطتي، ووجدت نفسي أقرأها (هي) وأتصادق مع تلك الفاتنة بتعمد واضح، وتقول في نفسك بشيء من الأسى



Sun Island كل زاوية منها حكاية جمال



انوار التنبيه مع د.محمد هشيم مدير جامعة المالديف الإسلامية

فانتة كحورية تظن أنها خرجت من عمق البحر فقط لتقع في حبيها، وتظل أسيراً لعينيها الحالمين.. ربما كان شهرها مستمتعا بالقصص الخيالية التي تقرأها عليه جاريته.. لكن في «جزيرة الشمس» يختلف الأمر.. فالقمر يحاورها كل ليلة ويحكي لها قصة الحب التي لا تنتهي حتى تبقى منتبهة له ولا يشاركه فيها أحد حتى الصباح، وتتساءل إلى متى سيظل هائماً بها؟ المالديف.. تغريك في بحرها ومائها الصافي الشفاف الذي كأنه مرآة ترى منه الأسماك الملونة بأحجامها وأشكالها المختلفة.. تدعك بأنها قريبة منك.. لكن تفاجأ بالعمق وغزارة الماء.. حتى الأمواج تلاحقك بعنفوانها لدرجة تصور لك أنها ستستمدد على شاطئك وتستولي على المسافة التي تجد فيها مطرماً هائماً لقدميك المغموستين بترابها.



احتفال العاصمة «ماليه» بيومها الوطني

في محطتي الأولى «جزيرة الشمس»

حينما تريد أن تكتب عن امرأة ذات جمال هادئ تعيش الحياة بواقعية لتحبها بالحب الذي يفيض من عينيها على أمل أن تظل في الذاكرة كلوحة الموناليزا التي ما زال الكثير يسأل عن سر جمالها وسر بقائها بشكل منفرد، أول ما يلفت نظرك حينما تقع عينك على فستانها الأخضر ذي الحاشية العريضة الزرقاء.. تنجذب إليها لا إرادياً، لتلتقط صوراً من كل زاوية لدرجة أن بصرك يحترق أي جزء من هذا الجمال تبدأ في التقاطه بالكاميرا التي بين يديك أم التي تود أن تحتفظ بها في ذهنك، وتخزنها إلى الوقت التي تعود به إلى الوطن، ليبيحك في حالة استرخاء ومتعة..

إنها اللوحة التي تخال أمامك بالوان حقيقية لم تراها في صورة من قبل.. أبداع في رسمها الخالق سبحانه.. لتقول في نفسك وأنت تراها ماثلة أمامك بالوانها الزاهية وهوائها الرطب وأمواجها الكبيرة.. كيف إذن هي جنته؟! إنها الأنثى الفاتنة الأسبوية ذات السمحة السمراء والعيون الواسعة العسلية، ولما تجد هذا الجمال المنفرد على خارطة الكرة الأرضية.

في التاريخ قرأنا باستمتاع عن قصة ألف ليلة وليلة، حيث كان السلطان يطلب كل ليلة جارية لكي تحكي له حكاية مشوقة، ولكن مع هذا الكم من الحكايات المختلفة، لم ترق له حكاية من حكاياتهن، ما عدا واحدة منهن استطاعت بذكايتها أن تكون هي التي لديها السلطة، في أن تنال ثقة واستحسان السلطان في القصة التي تلقها على مسامحة كل ليلة، لكن الوضع في «جزيرة الشمس» مختلف، فكل مساء يطل عليها «سلطانها» القمر فينشر على أجوائها قصائد الود، فقط من أجل أن يسأل ودها، لتقيبه بين يديها المنفردتين حتى يطلع عليها الصباح البراق بضوء شمسها المتلألئ على مياه محيطها العميق.

إنها المرأة التي..

عرفت كيف تحافظ على أنوثتها دون أن تبالي بالوقت أو الزمان الذي يمر على سنوات عمرها.. فالوقت عندها مرتبط بقايتها.. والزمن لا يعني لها شيئاً مادامت باقية على سطح الأرض وقبل أن يغطيها الماء وتخفي في أعماقه وتصبح كباقي أخواتها أطلال مدينة تحت الأرض، لذا هي تعيش الساعة الأنية بعيدة عن كل ما يوترها أو يهز أعصاب أشجارها، وتستمتع بالجمال الذي حباها به الرحمن وتحت أنعام المطر الذي يبيل شعرها دائماً.. من دون موعد سابق تمر الغيوم عليها وتمشط عشبها الأخضر..

فاتنة كحورية تظن أنها خرجت من عمق البحر فقط لتقع في حبيها، وتظل أسيراً لعينيها الحالمين.. ربما كان شهرها مستمتعا بالقصص الخيالية التي تقرأها عليه جاريته.. لكن في «جزيرة الشمس» يختلف الأمر.. فالقمر يحاورها كل ليلة ويحكي لها قصة الحب التي لا تنتهي حتى تبقى منتبهة له ولا يشاركه فيها أحد حتى الصباح، وتتساءل إلى متى سيظل هائماً بها؟ المالديف.. تغريك في بحرها ومائها الصافي الشفاف الذي كأنه مرآة ترى منه الأسماك الملونة بأحجامها وأشكالها المختلفة.. تدعك بأنها قريبة منك.. لكن تفاجأ بالعمق وغزارة الماء.. حتى الأمواج تلاحقك بعنفوانها لدرجة تصور لك أنها ستستمدد على شاطئك وتستولي على المسافة التي تجد فيها مطرماً هائماً لقدميك المغموستين بترابها.

أما رمل ساحلها فتراها يبرق نهاراً تحت أشعة الشمس كأنه يحتضن الكريستال بين حبيباته.. الصفاء الذي تفاجأ به واللون الأزرق المنعكس من السماء والبحر، يتبادلان معها لغة صامتة لا تعرف معناها إلا من خلال أحاسيسك التي تتولد من تلك اللحظات التي تملأ بها

في «جزيرة الشمس» ينشر القمر على أجوائها قصائد الود

لا تحاول أن تغمض عينيك حتى لا يفوتك الإبداع الرياني

رمل ساحلها يحتضن الكريستال بين حبيباته

«ماليه» جزيرة مزدحمة بالسكان خالية من القطط

لا يهدأ تفكيرها في كيف سيكون عليه مستقبلها